ما تريد أن تعرفهُ عن الحبشة

تتويج الرأس تفري ماكونين امبراطوراً

[كان تتويج الرأس تفري ماكونين نجاشياً لحبشة من الحوادث الكبرى في شهر اكتوبر الماضي . فرأى كاتب المقال الآتي ان يفصل علاقة مصر بالحبشة منذ ايام الفراعنة ثم دخول النسيحية الى بلاد الحبشة وسيطرة كنيسة الاقباط المصرية على الكنيسة الحبشية . وعناية النجاشي بالمهاجرين المسلمين ورد بعض المخالفين عنهم . وتوثيق عرى الود بين الحكومتين المصرية والحبشية . واخيراً فصل تاريخ الحبشة الحديثة من ايام الامبراطور تواضروس حتى بلوغ النجاشي تفري عرش الحبشة]

ما هي الحبشة ؟

الحبشة هي المملكة الافريقية الوحيدة التي لا تزال حافظة كيانها واستقلالها التام . فلا حماية ولا وصاية ولا انتداب ولا اشراف ولا غير ذلك من انواع السيطرة الاوربية المبسوطة على افريقيا من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها

تبلغ مساحتها ٣٥٠ الف ميل مربع . وعدد سكانها عشرة ملايين . وسكان العاصمة (اديس ابابا) ٧٠ الفاً وجيشها العامل ١٠٠ الف . وتقدر وارداتها التجارية بمبلغ ١١٠ آلاف جنيه وصادراتها بمبلغ ١٧ الفاً

وقد انضمت الى جمعية الامم في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٢٦ بعد أن قبلت برنامج الجمعية وكل تعهدات الدول ومنها مقاومة تجارة الرقيق التي يقال أنها لا تزال منتشرة في اكثر مقاطعات الحبشة

بين مصر والحبشة قديماً

لمصر علاقة بالحبشة قديمة ترجع الى ايام العائلة الفرعونية الثانية عشرة اذ وصلت الجنود المصرية الى سفوح الحبشة واخذت في غزو المدن وسلبها ونهبها . وفي عهد العائلة الثالثة عشرة تغلغل الجنود المصريون في البلاد الحبشية واستولوا عليها فاصبحت ايالة مصرية يولى عليها ابناء الفراعنة ويعمل الجند والموظفون المصريون فيها لنشر دينهم ولغتهم وأدبهم وخلفوا هناك آثاراً كثيرة من الهياكل والمسلات وغيرها . وبقيت الحبشة تابعة لمصر حتى سنة ٩٣٠ قبل الميلاد المسيحي

واقتلت الآية بسدنر اذ هاجم بيونكي ميامون صاحب الحبشة اقليم المصرية بين سنتي ٧٤٠ و٧٣٠ قبل الميلاد المسيحي وفتح معظم اقاليمها وتبعهُ خليفتهُ سابا سون فوصل بجنوده في مصر الى ساحل البحر الابيض المتوسط وبقوا في مصر حتى اخرجهم منها اسور بانيال الاشوري سنة ٦٦٣ قبل الميلاد . ثم عاد الحبشان فجددوا حملتهم على مصر في ايام البطالسة واستولوا على النخوم الجنوبية

الحبشة المسيحية

اختلف مؤرخو الكنيسة في حقيقة دخول المسيحية الى بلاد الحبشة . فروى بعضهم ان القديس مرقس الكاروز الافريقي بشّرها بها . وقال آخرون ان بشيرها هو متى الرسول وانهُ ترك انجيله عندهم . وبقي هنالك الى ان احضره الى مصر بنتينوس استاذ مدرسة اللاهوت بالاسكندرية

ولكن المتفق عليهِ هو ان الحبشة ظلت بعيدة عن المسيحية حتى القرن الرابع عشر اذ بشرها بها فرمونتيوس ، وهو شاب من اهالي مدينة صور ، خرج مع اخيهِ ايدوس وعمه ميريوس في رحلة بالبحر الاحمر . فهاجمهم جماعة من القرصان عند شواطئ بلاد الحبشة وقتلوا العم ميريوس ورجال سفينته وابقوا على الشابين فرمونتيوس وايدوس واوصلوهما الى دار الملك فلبثا في خدمته زمناً . ثم استأذنا في العودة الى بلادهم فاذن لهما

وهما [illegible] مثلا بين يدي البطريرك اتناسيوس الاول وقصّا عليهِ قصتهما وقالا انهما في خدمة [illegible] المسيحيه ونعطشان لسماع كلمة الانجيل المقدس . فاصغى الى اقوالهم ورسم فرمونتيوس مطراناً على الحبشة وجهزهُ بكل ما يلزمه لتبشير

ولما عقد مجمع نيقية في القرن الخامس كان من قراراته « انه لا يجوز لمسيحي الحبشة الاستقلال بامورهم . بل هم تابعون للكرسي الاسكندري ويعين بطريرك الاسكندرية اساقفتهم »

ولا تزال الحبشة منذ بشّرها فرمونتيوس حتى اليوم تابعة للكنيسة القبطية متمسكة بعقيدتها الارثوذكسية . وعبثاً حاولت الكنائس والارساليات المسيحية من ارثوذكسية وكاثوليكية وانجيلية التفريق بين الاحباش والاقباط . فباءت بالفشل

وكان البطريرك كيرلس الرابع آخر بطريرك قبطي سافر الى الحبشة وقد رحل اليها مرتين الاولى للتوفيق بين الاسقف القبطي وقسوس الحبشة والثانية لمهمة سياسية انتدبهُ لها سعيد باشا والي مصر سنة ١٨٥٦

وآخر مطران قبطي لها كان الانبا متاوس الذي رسمه الانبا كيرلس الخامس (البطريرك السابق) في سنة ١٨٨١ وحضر الى مصر مرتين اولاهما سنة ١٩٠٢ والثانية في سنة ١٩٢٤ وسافر في المرة الاولى الى الاستانة وبطرس برج (لننغراد) وقابل كلاً من جلالة السلطان عبد الحميد والقيصر نقولا الثاني

وكان النجاشي منليك قد طلب من البطريركية القبطية منذ عشرين سنة ونيف أن ترسل اليها بعثة من الشبان للتعليم في المدارس الحبشية فاجاب طلبه. ولكن هذه البعثة لم توفق في عملها فعاد بعضها واشتغل البعض بمهام اخرى في الحبشة غير التربية والتعليم

وتوفي الانبا متاوس منذ سنتين ولم يعيَّن خلف لهُ بعد ولا يعلم متى يتم هذا التعيين (اولاً) للخلاف الواقع بين الاحباش والاقباط على ملكية دير السلطان بالقدس. وتمسك كل فريق منهما بدعواهُ. وقد مضى على هذه القضية زمن طويل وحضر الرأس تفري الى مصر للنظر في حلّ الاشكال ولكنهُ لم يفلح في قصده (ثانياً) يجنح فريق من الحبشان الى الانفصال عن الكنيسة القبطية. ويشترط البعض أن يكون المطران القبطي عالماً دينيًّا جديراً بالمنصب الكبير المعد لهُ. ولم يجد الاقباط في ديارهم ولا بين شبانهم المتعلمين من يرسلونهُ لتولي هذه المهمة الخطيرة

ويقول بعضهم ان دولة كبيرة ذات مصلحة تلعب دوراً خفيًّا في هذه المشكلة

الحبشة والاسلام

وكان اصحمة نجاشي الحبشة اول ملك فتح بلادهُ للمسلمين ورحَّب بهم وكفاهم شر اعدائهم من مشركي قريش الذين كانوا يؤذون النبي (صلعم) واصحابهُ الكرام. فاذن النبي للصحابة بالهجرة الى الحبشة فبرحوا مكة في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة النبوية. واقاموا في حمى النجاشي آمنين مطمئنين حتى بلغهم ايمان قريش برسالة النبي فقرروا العودة الى اوطانهم. فلما قربوا من مكة علموا ان الخبر غير صحيح ولكنهم لم يجدوا بداً من الدخول الى مكة فاحتمى كل واحد منهم بكبير من اكابر قريش

وازداد اذى المشركين فاذن النبي (صلعم) لمن يريد الهجرة الى الحبشة فهاجر ١٣٢ شخصاً يتقدمهم جعفر بن ابي طالب ابن عم النبي وزوجتهُ اسماء. ثم لحق بهم فوج آخر مؤلف من ٨٠ مهاجراً برياسة ابي موسى الاشعري فصادفتهم انواء القت بزورقهم الى الشاطىء الحبشي حيث التقوا باخوانهم المهاجرين

وارسل مشركو قريش وفداً الى نجاشي الحبشة تحت امرة عمرو بن العاص وعمارة ابن الوليد يحملون الهدايا لتحريضه على المهاجرين وطردهم بدعوى انهم اتوا الى الحبشة لايقاع الفتنة والفساد . فجمع النجاشي بين جماعتين من الفريقين وسمع اقوالهم . فبرتهُ حجج المهاجرين . فاعاد الى المشركين هداياهم وقال لهم: ليس من العدل والمروءة ايذاء قوم لم نرَ منهم الاَّ شرف النفوس . فعاد الوفد خائباً

ولكن المشركين اعادوا الكرة وارسلوا وفداً ثانياً بعد واقعة بدر يحملون الهدايا فردهم النجاشي اصعر خائبين

وتبودلت الكتب والهدايا بين النبيّ والنجاشي . وجهز النجاشي سفناً حملت المهاجرين الى المدينة

وكان النبي قد ارسل في السنة التاسعة للهجرة هدية الى النجاشي اصحمة . فوصلت بعد موته . ولما بلغ النبي نعيهُ جمع الصحابة وصلى عليهِ غائباً

ويقول الواقفون على دخائل الحبشة ان المسلمين فيها الآن يبلغون جزئين من عشرة اجزاء من السكان وان في يدهم تجارة البلاد وكثيراً من مرافقها الاقتصادية

وللحبشة في الازهر رواق يعرف باسم « رواق الجبرتية » وفيهِ تربى المؤرخ الشهير الشيخ عبد الرحمن الجبرتي (١٢٤٠ هـ) صاحب التاريخ المعروف باسمهِ ولا يزال حتى اليوم أفضل مرجع لتاريخ الحملة الفرنسوية على مصر . وقد عنيت الحكومة المصرية بترجمتهِ الى اللغة الفرنسوية

ولا يزال رواق الجبرتية حتى الآن خاصًّا بالطلبة الاحباش وجيرانهم من سكان الساحل الشرقي بافريقيا . وكلهم معروفون بدماثة الاخلاق والتدين والجد في التحصيل

وبالنظر الى علاقة ايطاليا بالحبشة وما يجاورها يعنى سفير ايطاليا في مصر بامر اهل رواق الجبرتية فيزورهم ويعطف على فقرائهم ويشجع اذكياءهم بكل وسيلة

بين الحكومتين الحبشية والمصرية

وقد قامت اخيراً ضجة حول ما تنويه مشروعات الاميركان في بحيرة تسانا الحبشية وعلاقة الري في مصر بهذه المشروعات وطال بحث الجرائد والكتاب في هذا الموضوع وكذبتهُ المصادر الحبشية . ثم سكت المتكلمون فيهِ على غير نتيجة

وشعرت الحكومة المصرية بحاجتها الى توثيق عرى الود بينها وبين الاحباش

فالفت وزارة المعارف بعثة من الاساتذة الاقباط للتعليم في المدارس الحبشية وقامت الحكومة المصرية بنفقاتهم

وصدق البرلمان المصري في دورته الاخيرة على انشاء قنصلية مصرية في أديس ابابا واختارت الحكومة الاستاذ انيس عازر افندي المدرس في مدرسة التجارة العليا قنصلاً لها ولكن اسباباً خاصة حالت دون سفرهِ فسبقهُ موظفو القنصلية . وفي تفاصيل القناصل الاخيرة تقرر تعيين عازر افندي قنصلاً في اميركا والاستاذ موسى افندي السكرتير الاول لمفوضية مصر في برلين قنصلاً في الحبشة

وتبدي الحكومة المصرية رغبة صادقة في حل مشكلة دير السلطان القائمة بين الاقباط والاحباش وتمهيد السبيل لانتخاب مطران قبطي للحبشة حفظاً لسيطرة كنيسة مصر على الاحباش

الحبشة الحديثة — النجاشي ثيودروس

يبدأ تاريخ الحبشة الحديث سنة ١٨٥٠ ففي هذه السنة كان الاهالي منشقين بعضهم على بعض منقسمين فئات . فنهض كاسا محافظ احدى مدن احرا وقاتل الرأس عالي حاكم المملكة وظفر بهِ واستولى على قاعدة ملكه . ثم طفق يحارب هذا وذاك من حكام الولايات والمقاطعات حتى بسط ملكه على الحبشة كلها في سنة ١٨٥٢ . ثم غزا مملكتي التغرة وشوا ونودي بهِ امبراطوراً ونجاشياً (ملك الملوك) للحبشة في ١٢ فبراير سنة ١٨٥٥ باسم « النجاشي ثيودروس »

وناهضهُ قنصل الانكليز في الحبشة . واشتد الخلف بينهما فسعد ثيودروس الى اساءة النزلاء الاوربيين في بلاده فاتى بهم وفي مقدمتهم قنصل الانكليز والقاهم في السجون مكبلين بالحديد . فارسل الانكليز لمحاربتهِ جيشاً مؤلفاً من اربعة آلاف جندي انكليزي وثمانية آلاف جندي هندي وثمانية آلاف للخدمة و٣٥ الف جواد و٤٠ فيلاً لحمل المدافع

وتغلب الانكليز على ثيودروس بعد حرب قصيرة فاطلق النار على نفسهِ ومات قتيلاً في ١٣ ابريل سنة ١٨٦٨ وهو في الخمسين من عمره بعد ان ملك ٢٢ سنة منها ثلاث عشرة سنة نجاشيًّا

يوحنا كاسا

وكان كاسا حاكم التغرة قد ساعد الانكليز وعاون جيشهم على محاربة ثيودروس . فلما تمَّ لهم النصر مهدوا لحاكم التغرة سبيل الحكم على البلاد فحارب خصومهُ من ولاة

المقاطعات وانتصر عليهم وتوّج نجاشيًّا باسم «يوحنا كاسا» في سنة ١٨٧٢

وشهرت الحكومة المصرية الحرب على الحبشة في سنة ١٨٧٦ وجردت جيشاً كبيراً تحت امرة البرنس حسن باشا (ابن الخديو اسماعيل وشقيق جلالة الملك فؤاد) فتكبد عناءً كبيراً وافنى الجيش معظم وحداته

ثم عقد الصلح بين الحبشة ومصر بواسطة الانبا كيرلس (بطريرك الاقباط السابق) بكتاب ارسلهُ الى النجاشي

وطلب النجاشي يوحنا كاسا من بطريرك الاقباط ان يبين للحبشة مطراناً وثلاثة من الاساقفة فاجاب طلبهُ . ووضع لذلك قانوناً خاصًّا وسيم هؤلاء الرؤساء الدينيين في ٨ يوليو سنة ١٨٨١

وهاجم مهدي السودان التخوم الحبشية فصدهُ النجاشي ودحرهُ وانتصر عليهِ

وبينما كان النجاشي يحتفل بدفن جماعة من جنودهِ البواسل الذين ابلوا بلاءً حسناً في محاربة المهدي انقضَّ عليهِ احد اعدائهِ وقتلهُ يوم ٩ ابريل سنة ١٨٨٩

النجاشي منليك

واتهز منليك حاكم مقاطعة شوا فرصة موت يوحنا كاسا واضطراب الخواطر وتنازع الحكام فاعلن نفسه نجاشيًّا للحبشة ومسحهُ الانبا متاوس (مطران الاقباط السابق في الحبشة) بدهن المسحة المقدس في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨٩ وسأل البطريرك ان يباركهُ ويصلي لهُ

وهاجم الايطاليون مدينة كسلا في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٤ وفتحوها وتقدموا الى البلاد الحبشية فاحتلوا ادجرات وميكاليه وانطالو واميالاجي فانبرى لهم النجاشي منليك واجلاهم عن بلاده . وامضى الطرفان معاهدة صلح وسلام في ٨ مارس سنة ١٨٩٦ اعترفت فيها ايطاليا باستقلال الحبشة والغاء معاهدة اوتشيالي (التي كانت قد ابرمتها مع النجاشي منليك سنة ١٨٨٩)

النجاشي يلو

واصيب النجاشي منليك بالفالج فقاومهُ سنوات ثم عاودهُ في سنة ١٩٠٩ ويقول بعضهم انهُ قضى عليهِ في هذه السنة فكتم الاحباش موتهُ ولم يعلنوهُ الاَّ بعد سنوات

ومهما يكن من امر هذه الرواية فقد نشرت جريدة «زارع الحبشة» الفرنسوية يوم ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٠٩ البيان الآتي :

« رأى جلالة الامبراطور منليك حسماً لما عساهُ ان يقع من الخصام والنزاع ، في مسألة من يخلفهُ على عرش المملكة الحبشية ، ان يقرر نهائيًا انتخاب حفيده الامير ياسو فايبهُ الملك بنفسهِ ، بما لجلالتهِ من السلطة المطلقة ، امام رؤوس المملكة جميعهم ، معترفاً بانهُ خلفهُ الوحيد الشرعي ، وان لا شريك لجلالتهِ في مملكتهِ سواهُ

« وقد اصدر جلالتهُ الامر باعلان هذه المبايعة في انحاء المملكة كافة ، بعد ان سأل جميع الرؤوس ان يقسموا يمين الطاعة والامانة للمنتخب الجديد

« وعليهِ فمن الآن يلقب « الدج ياسو » بلقب « آتي ياسو »

« وهذا الامير في الثانية عشرة من عمره وسموه كما لا يخفى ابن الرأس ميخائيل حاكم مقاطعة والو من زوجتهِ المرحومة سوارجيا كريمة الامبراطور منليك

« وقد قضى النجاشي بهذا العمل على كل خصام بين افراد اسرتهِ . ولاسيما بعد ان اخذ على رعاياه تلك اليمين المقدسة التي لا تنقض

« وبناء على ارادة الامبراطور منليك قد عين الرأس تسما وصياً على الامير الصغير ، ونائباً عن جلالتهِ ، الى ان يبلغ الامير سن الرشد » اه

وتليت وصية النجاشي منليك في الادارات (ردهة الاستقبال بالسراي الملكية) واعلن المطران (الابا متاوس) حرم كل من يتجاسر على مخالفة هذه الوصية

واعلنت وفاة النجاشي منليك رسميًا في سنة ١٩١٣ . وكان عمر النجاشي ياسو حين ذاك ١٦ سنة فقامت بمهام المملكة الامبراطورة طاطيو (زوجة منليك) والرأس تسما. وولّي الرأس ميخائيل (والد ياسو) الحكم على مدينة اديس ابابا (عاصمة الحبشة) ثم اعتزلت الامبراطورة طاطيو الحكم . وتوفي الرأس تسما فالقيت مقاليد الملك الى الرأس ميخائيل فاتى مع ابنهِ ياسو من الاعمال مالم يرض الاهالي والزعماء فعزلوا ياسو وحرمهُ المطران في سبتمبر سنة ١٩١٦ . وجهز والده جيشاً للاخذ بالثار فكسرهُ الاحباش واسروا الرأس ميخائيل . وبقي ياسو هائماً على وجهه متنقلاً من مقاطعة الى اخرى حتى قبض عليهِ في سنة ١٩٢١

الامبراطورة زوديتو والجازماخ تفري

وبعد ان خلع الاحباش النجاشي ياسو في سنة ١٩١٦ اعلنوا تولية الاميرة زوديتو ابنة النجاشي منليك امبراطورة على الحبشة واحتفلوا بتتويجها في كنيسة القديس

جرجس باديس ابا به يوم ١١ فبراير سنة ١٩١٧ وفي هذه الحفلة سمي الجازماخ تفري وليًّا لعهد الحبشة

والرأس تفري ابن الرأس ماكونين ابن عم النجاشي منليك. وحفيد سهلي سلاسي ملك شوا. ولد في ١٧ يوليو سنة ١٨٩١ وعهد في تربيته الى اساتذة اوربيين. وتزوج في سنة ١٩١٢ الاميرة وزيرو بنت ابنة الداجاز اصفو وحفيدة الملك ميخائيل. ورزق منها بولدين وابنتين

كيف وصل الرأس تفري الى العرش

وقضى الرأس تفري اثني عشرة سنة وليًّا للعهد طامحاً الى اعتلاء العرش فلم ينحظة عن زيادة عدد الحرس واستمالة الزعماء وحكام المقاطعات وكل ذي شأن خطير في المملكة

ويؤخذ من رسالة خاصة من جيبوتي انهُ في أواخر شهر سبتمبر الماضي اوعز الى بعض كبار حاشيته الامناء بان يلفتوا الامبراطورة زوديتو ان (الرأس تفري) يمشي ويتعاقد مع الدول ويمنح الامتيازات بدون استشارة جلالتها وان يقولوا لها اذا سارت الحال على هذه الوتيرة لم يبق لجلالتها شيء من السلطة او النفوذ. ولا يخلصها من هذا الموقف المريب الا مقاومة الرأس تفري ومنعهُ بالقوة من اتمام مقاصده

فاصغت الامبراطورة الى اقوالهم وعملت بنصيحتهم وعقدت مجلس شورى الدولة تحت رياستها وحضرهُ الرأس تفري الذي اخذ يتحدى جلالة الملكة ويعلن مخالفتهُ لكل ما تبديه من الآراء بعبارات جافة. فخرجت من الجلسة حانقة وامرت رئيس الحرس بان يمنعوا الرأس تفري ورجاله من الخروج من القصر

ووصل الخبر الى الاميرة منن (ولا يبعد انها كانت عارفة بكل ما دبره زوجها) فامرت حرسه الخاص ان يحاصر قصر الامبراطورة ويخرج الرأس ورجاله

فسار رئيس هذا الحرس وطلب من الامبراطورة فتح ابواب القصر. وهددها بهدم اركانهِ في نصف ساعة

وتقدم رئيس حرس القصر الى الامبراطورة (وكان على اتفاق مع الرأس) وقال لها انهُ لم يكن بدرك ما لدى ولي العهد من قوة ورجال. ونصح لها بالتسليم وذلك اولى من تدمير القصر. فعملت بنصيحتهِ وامرت بفتح الابواب فدخل انصار الرأس تفري ورؤساء الجيش. واعلنوا تنصيبهُ نجاشيًّا. وكرر الشعب المحيط بالقصر الهتاف والدعاء للامبراطور تفري ماكونين

توفيق حبيب

الفيلسوف تولستوي وزوجتهُ

مقتطف دسمبر ١٩٢٨

امام الصفحة ٤٢٥